الضرائر في شعر المتنبي

الدكتورة / أحـــلام الزبـن

أستاذ مساعد، جامعة الحدود الشمالية

الدكتور / محمد السماعنة

دكتور غير متفرغ، الجامعة الأردنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

جاء في الكتاب لسيبويه "أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام"[١]؛ لأن الشعر لما كان موزونًا، أصبح خاضعًا لحكم الوزن، ولذا فإن المنطق المعياري أباح للشاعر هذا الانزياح، واستجاز له ذلك من أجل تقويم الوزن، ومعنى هذا أن الضرورة هي ما وقع في الشعر دون النثر.

يعدّ موضوع الضرورات الشعرية من موضوعات اللغة والنحو الهامة، ولهذا عرض لها جماعة العلماء منذ القدم، وأفردوا لها كتبًا، وبالإضافة إلى تلك الكتب المفردة في الموضوع تتحدث كتب اللغة الجامعة وكتب النحو الخاصة في موضوع الضرورات الشعرية، وعلى رأسها كتاب سيبويه، في باب (ما يحتمل الشعر). ومعرفة الضرورة باب من العلم لا يسع الشاعر جهله، ولا يستغني عن معرفته ليكون له حجة لما يقع في شعره مما يضطر إليه من استقامة قافية، أو وزن بيت، أو إصلاح إعراب"[٢].

والمتنبي هو من تعرفون، صقلت بادية السماوة لغته، وشحذت ثقافته ذكاءه، فخرجت على لسانه كلمات ما زالت تزدهي على ألسنة الناس، تُشعرُ بدفء آماله وصادقِ نظرته. وحين قرأ الباحثان في شرح ديوان المتنبي قول العكبري: "أظهر التضعيف في حالل، وهو من باب الضرورات، ولو قال: مكانه

---

١ سيبويه، أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر– الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨، ج١، ص٢٦.

٢ انظر: القزاز، أبا عبد الله محمد بن جعفر التميمي، ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة، تحقيق وشرح ودراسة: محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، دار المعارف، الإسكندرية، ص ٢٩ .

ناقض: لسلم من الضرورة، وربما فعل هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات"[1]- تذكرا أن ابن فورجه وابن سيدة قد أعابا نسيج الأبيات عند المتنبي لما يداخلها من الحشو، واتهماه بقلق القوافي[2]؛ فجرى في نفسهما تساؤل عن الضرورة عند المتنبي، فعزما على تتبعها، ومعرفة مواطنها، ومحاولة التعرف على أصولها ومرتكزاتها، فجاءت هذه المحاولة التي بين أيديكم، تعرض عليكم ما توصلا إليه من أمر الضرورة في شعر المتنبي.

الضرورة في شعر المتنبي:

١- أتُنكِرُ يابنَ إسحاقٍ إخائي وتحسِبُ ماءَ غيريَ من إنائي[3]

صرف المتنبي إسحاقٍ ضرورة.

٢- شيمُ الليالي أنْ تُشكِكَ ناقَتِي صَدري بها أفضَى إلى البيْداء[4]

حذف المتنبي همزة الاستفهام ضرورة؛ فهو يريد أن يقول: أصدري، فحذف همزة الاستفهام ضرورة، ودل عليها قوله: أم البيداء؟

٣- رَوامِي الكفافِ وكبْد الوهَادِ وجارِ البُويرةِ وادي الغَضَى[5]

أسكن المتنبي الياء ضرورة في كلمة "روامي".

٤- يعزُّ عليه أنْ يُخل بِعادةٍ وتدعوْ لأمرٍ وهو غَيرُ مُجيبِ[6]

---

١ أحمد بن الحسين (ت٣٥٤ هـ)- ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح مصطفى السقا وآخرون، ج٤، ص٨٥.

٢ انظر: عبد الرحيم، مصطفى عليان- تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ص٥٩٨.

٣ المتنبي، مصدر سابق، ج١، ص ٩.

٤ المصدر نفسه، ج١، ص١٦.

٥ المصدر نفسه، ج١، ص٣٩.

٦ المصدر نفسه، ج١، ص٥١.

سكن المتنبي الواو في (تدعو) ضرورة، والوجه فتحها، لأنه عطف على يخل[١]

٥- أَبي الشُموسُ الجانِحاتُ غَوارِبا اللابِساتُ مِنَ الحَريرِ جَلابِبا [٢]

أراد جلابيب، لكنه حذف الياء ضرورة، والأصل: جلباب وجلابيب. قال الله تعالى: "يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ"[٣]. والجلابيب: واحدها جلباب، وهي ألحفة والمرط والخمار وما يلبسه النساء.

٦- لَيسَ بالمُنكَرِ إنْ بَرّزْتَ سَبقاً،، غيرُ مدفوعٍ عنِ السّبقِ العِرابُ [٤]

"الوجه أن يقول: "غير مدفوعة عن السبق العراب" كما تقول: هند غير مصروفة. وذكر ضرورة، كأنه أراد العِراب جنس غير مدفوع. قال ابن جنّي: كان يجوز أن يقول غير هذا، ويقول: لا تدفع عن السبق العراب (بالتاء والياء) فأجرى (غير) مجرى (لا)، وأجرى مدفوع مجرى يدفع ضرورة"[٥].

٧- رَمَوا بنواصيها القسيّ فجئنها دَوَامي الهَوَادي سالماتِ الجوانبِ[٦]

دوامي حال، وأسكن الياء ضرورة وإن كانت مضافة.

٨- وَحَمْدانُ وَحَمْدونٌ وحمدونُ حارثٌ وحارثُ لقمانٌ، ولقمانُ راشدُ[٧]

ترك المتنبي صرف "حمدون" و"حارث" ضرورة وقد جوّز العكبري ذلك ووافقه الأخفش وابن برهان الفارسي، وحجتهم في ذلك إجماع العلماء على جواز صرف ما لا ينصرف في الشعر ضرورة ومجيئه كثيرًا في الشعر[٨].

---

١ انظر: المصدر نفسه، ج١، ص٥١.
٢ المصدر نفسه، ج١، ص١٢٢.
٣ الأحزاب: ٥٩.
٤ المصدر نفسه، ج١، ص١٣٥.
٥ المصدر نفسه، ج١، ص١٣٥.
٦ المصدر نفسه، ج١، ص١٥٣.
٧ المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٧.
٨ أبو الطيب المتنبي- ديوان أبي الطيب المتنبي، ج١، ص٢٨١.

٩- وأنْ يَكذبَ الإرجافُ عنه بِضدّهِ ويُمسي إليه الجَيشَ أهدى وما هَدى[١]

سكّن الياء من (يمسي) ضرورة. يقول العكبري: "وهو من الضرورات المستحسنة"[٢].

١٠- وأنّكَ بالأمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً، شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا [٣]

أراد أنّك بالتشديد، فخفف ضرورة، مع الضمير.

١١- لهفانَ يستوبي بك الغضبُ الورى لو لم يُنهْنِهْكَ الحِجا والسّوددُ[٤]

يستوبي: يستفعل، من الوباء، وأصله الهمزة، لكنه أبدل من الهمزة ياء ضرورة وليس تخفيفًا قياسًا- كما يقول العكبري- والوجه يستوبئ[٥].

١٢- أحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحادِ لُيلتنا المنوطةُ بالتنادِ[٦]

حذف المتنبي همزة الاستفهام ضرورة، وليس هو بالفصيح، وإنما يقع في الشعر ضرورة، ولا يقال: زيد أبوك أم عمرو؟ وصرف أحاد، والعرب لا تصرفه، وصغر ليلة على لييلة والعرب تصغرها على لييلية[٧].

١٣- وما عِشْتَ ما ماتُوا ولا أبَواهُمُ، تَميمُ بنُ مُرٍّ وابنُ طابخَةٍ أُدُّ [٨]

حذف المتنبي الفاء ضرورة، والأجود أن يقال: فما ماتوا.

١٤- هَبكَ اِبنَ يَزدادٍ حَطَمتَ وَصَحبَهُ، أَتَرى الوَرى أَضحَوا بَني يَزداذا [٩]

---

١ المصدر نفسه، ج١، ص٢٨١.
٢ المصدر نفسه، ج١، ص٣١٠.
٣ المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٦.
٤انظر: المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٧.
٥ انظر: المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٦.
٦ المصدر نفسه، ج١، ص٣٥٣.
٧ انظر تفاصيل ما دار حول البيت من جدال في كتاب "ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة" ص ٣٧.
٨ أبو الطيب المتنبي- ديوان أبي الطيب المتنبي، ج١، ص٣٨٢.
٩ المصدر نفسه، ج٢، ص٨٢.

إن يزداذ اسم أعجمي لا ينصرف. وإنما صرفه المتنبي للضرورة.

١٥- سدَّت عليه المشرفيةُ طرْقَه فانصاعَ لا حلبا ولا بغداذا[١]

صرف المتنبي كلمتي (حلب) و(بغداد) ضرورة.

١٦- مَرَتك ابن إبراهيمَ صافيةُ الخَمرِ وهنِّئتها من شاربٍ مُسكرِ السُّكرِ[٢]

حذف الشاعر همزة مراتك ضرورة.

١٧- في الشَربِ جارِيَةٌ مِن تَحتِها خَشَبٌ، ما كانَ والِدَها جِنٌّ وَلا بَشَرُ [٣]

جعل المتنبي اسم كان نكرة ضرورة.

١٨- أوِ ابنَ ابنهِ الباقِي عليَّ بنَ أحمدٍ يجودُ به لو لم أجُز ويدي صفرُ[٤]

سكن الشاعر الياء ضرورة، ويرى العكبري أن حروف العلة أبدا تسكن في حال النصب ضرورة"[٥].

١٩- هذى برزتِ لنا فُهِجتِ رُسيسا ثمَّ انثنيتِ وما شَفيتِ نَسيسَا[٦]

حذف المتنبي حرف النداء ضرورة، وتقديره: يا هذه. ويحتج ابن فورجه بأقوال أستاذه أبي العلاء المعري في تأويل مؤاخذة ابن جني للمتنبي في حذف حرف النداء في البيت فيقول: "وسمعت الشيخ أبي العلاء يقول: "هذي موضوعة موضع المصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة، وكأنه يقول فهيجت رسيسا، وهذا

١ المصدر نفسه، ج٢، ص٨٤.
٢ أبو الطيب المتنبي- ديوان أبي الطيب المتنبي، ج٢، ص١٣٧.
٣ المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٩.
٤ المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٣.
٥ انظر المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٣.
٦ المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٣.

تأويل حسن لا حاجة معه إلى اعتذار"[1]، ويبدو أن هذا الكلام لم يقنع الدكتور مصطفى عليان فوضع البيت ضمن أغلاط المتنبي[2].

٢٠- مَلِكٌ إذا عادَيتَ نَفسَكَ عادِهِ، وَرَضيتَ أَوحَشَ ما كَرِهتَ أَنِيْسَا [3]

في الكلام تقديم وتأخير، تقديره إذا عاديت نفسك ورضيت أوحش ما كرهت فعاده، وقد حذف الشاعر الفاء ضرورة.

٢١- فأرْحامُ شِعْرٍ يتّصِلْنَ لَدُنّهُ، وَأرْحامُ مالٍ ما تَني تتقطّعُ [4]

يرى أبو الفتح أن التشديد في كلمة (لدنّه) ليس من كلام العرب، أما العكبري فيرى أنه جائز فكما يقال: لدنّي يقال لدنه، بحمل أحد الضميرين على الآخرُ فيقول: "ويجوز أن يكون ثقل النون ضرورة، كما قالوا في القطن القُطُّن[5].

٢٢- فمتى يكذِّبُ مُدعٍ لكَ فوقَ ذا واللهُ يشهدُ أنّ حقاً ما ادّعَى[6]

جعل المتنبي اسم (أن) نكرة وهو جائز في ضرورة الشعر، وكان الوجه أن يقول: أن ما ادّعى حق[7].

٢٣- إذا شاءَ أنْ يَلهُوْ بلِحيةِ أحمقٍ أراه غُبارى، ثم قال له الحقِ[8]

أسكن المتنبي الواو من الفعل، وهو منصوب، ضرورة.

---

١ ابن فورجه (أحمد بن محمد)- الفتح على أبي الفتح، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٦٢.

٢ مصطفى عليان عبد الرحيم- تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مؤسسة الرسالة ط٢، ١٩٨٤، ص ٥٩٤.

٣ أبو الطيب المتنبي- ديوان أبي الطيب المتنبي، ج٢، ص١٩٦.

٤ أبو الطيب المتنبي- ديوان أبي الطيب المتنبي، ج٢، ص ٢٤٠.

٥ انظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤٠.

٦ المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٧.

٧ المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٧.

٨ المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٤.

٢٤- أتاهمْ بها حشوَ العَجاجةِ والقَنا سنابِكُها تَحشو بطونَ الحَمالقِ[١]

حذف المتنبي الياء من كلمة حماليق ليقيم الوزن. والحماليق جمع حِملاق.

٢٥- ألمْ يَحذروا مَسخَ الذي يَمسَخُ العِدا ويَجعلُ أيْدي الأسدِ أيدي الحرانقِ[٢]

أسكن الياء من الأيدي ضرورة، لأنها في موضع نصب.

٢٦- كيفَ تَرثي التي تَرى كلَّ جفنٍ راءَها غيرَ جَفْنِها غيرَ راقي[٣]

أخر المتنبي الهمزة في كلمة (راءها) ضرورة، وقدم الألف. والأصل: رآها.

٢٧- لم ترَ مَنْ نادمتَ إلاكا لا لِسَوى وُدِّكَ لي ذاكا[٤]

قوله "إلاكا" هو جائز في ضرورة الشعر. والأجود أن يقول إلا إياك[٥].

٢٨- وَيَلقَى كما تلْقَى مِن السَّلم والوغَى ويُمسي كما تُمسي مَليكا بلا مِثلِ[٦]

أسكن المتنبي تمسي ضرورة.

٢٩- ليس إلاّك يا عليُّ هُمامٌ سَيْفُه دونَ عِرضِه مَسْلولُ[٧]

أتى المتنبي بالضمير المتصل في موضع المنفصل للضرورة.

٣٠- إلى واحدِ الدنيا إلى ابنِ محمدٍ شجاعِ الذي لله ثم له الفضلُ[٨]

ترك المتنبي تنوين شجاع ضرورة. والشعر القديم فيه كثير من هذا. وهذا متفق ومذهب الكوفيين في ترك صرف ما ينصرف ضرورة.

٣١ – إلى القَابضِ الأرواحِ والضَّيْغمِ الذي تَحدَّثُ عن وقفاتِه الخَيلُ والرجلُ[١]

---

١ المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٢.
٢ المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٩.
٣ المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦٢.
٤ المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨٣.
٥ المصدر نفسه، ج٣، ص١٤.
٦ المصدر نفسه، ج٣، ص٥٠.
٧ أبو الطيب المتنبي– ديوان أبي الطيب المتنبي، ج٣، ص١٥٦.
٨ المصدر نفسه، ج٣، ص١٨٤.

وقفاته: جمع وقفْة، سكن القاف للضرورة؛ لإن فعْلة تجمع على فَعَلات إذا كانت اسمًا، وإذا كانت صفة جمعت على فعْلات.

٣٢- بقائي شاءَ ليسَ همُ ارتحالا وحسنُ الصبرِ زَمُّوا لا الجِمالا[٢]

يرى أبو الفتح أنه يجوز أن يكون "هم" اسم ليس إلا إنه استعمل الضمير المنفصل موضع المتصل ضرورة، والتقدير بقائي شاء الارتحال ليسوا شاؤه[٣].

٣٣- إلى البدرِ بنِ عمارِ الذي لمْ يكنْ في غُرةِ الشَّهرِ الهِلالا[٤]

ترك المتنبي تنوين عمار ضرورة.

٣٤- لو كان ما تُعطيهمُ مِن قبلِ أنْ تُعطيهمُ لمْ يعرفوا التأمِيْلا[٥]

أسكن الياء من الفعل المنصوب ضرورة[٦].

٣٥- فَلَستُ غَبيناً لَو شَرَيتُ مَنِيَّتي، بِإكرامِ دِلَّيرَ اِبنِ لَشكَرَوَزٍّ لي [٧]

جعل المتنبي الاسمين اسمًا واحدًا، ففتح الراء، وصرف الاسم ضرورة.

٣٦- ونرمي نَواصيْها مِن اسْمكَ في الوغَى بأنفذَ من نشَّبنا ومِن النبلِ[٨]

سكن الياء في نواصيها للضرورة.

٣٧- واحرَّ قلْبَاهُ مِمن قلْبُه شَبِمُ ومَن بجسمي وحَالي عِنْدَه سَقم[٩]

قلباه بكسر الهاء وضمها، لا يجوّزه الكوفيون إلا للضرورة[١]. وقال القزاز: "فالغلط في هذا البيت من وجهين، أحدها أنه وصل المندوب وحرك الهاء، وهي هاء إنما

---

١ المصدر نفسه، ج٣، ص١٨٥.
٢ المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢١.
٣ انظر: المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢١.
٤ المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢٥.
٥ المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٤.
٦ المصدر نفسه، ج٣، ص٢٥٥.
٧ المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩١.
٨ المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩٣.
٩ المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦٢.

هاء إنما تدخل في الوقف. وهي ساكنة أبدا. والوجه الثاني أنه أسقط الياء من المضاف إليه، وهو موضع لا تسقط فيه الياء"[٢].

٣٨- وقد فجَعَتْه بابنه وابنِ صِهرِهِ وبالصِّهرِ حملاتُ الأميرِ الغَواشمِ[٣]

أسكن المتنبي الميم من حملات ضرورة لأن جمع فعلة فعَلات إذا كانت اسمًا.

٣٩- تنام لديك الرُّسْلُ أمنًا وغِبطةً وأجفانُ ربِّ الرسّل ليس تنامُ[٤]

ليس هنا تحتمل أمرين: أحدهما أن يكون استعمالها استعمال "ما"، والثاني أن يكون في ليس ضمير وحذف تاء التأنيث ضرورة.

٤٠- والنّقعُ يأخذ حرَّاناً وبَقْعَتَها والشمسُ تُسْفِرُ أحياناً وتلتثمُ[٥]

صرف المتنبي حران ضرورة.

٤١- ولا نَدْعُوك صاحِبه فَتَرْضَى لأنَّ بصحبةٍ يَجبُ الذِّمامُ[٦]

حذف المتنبي الهاء ضرورة.

٤٢- أذاقَ الغَواني حُسْنُه ما أَذَقْنَنِي وعفَّ فجازاهُنَّ عَنِّي على الصُّرمِ[٧]

أسكن الغواني ضرورة لأنها مفعول.

٤٣- ولا يُبرم الأمرَ الذي هو حاللٌ ولا يُحلُّ الأمر الذي هو مبْرَمُ[٨]

أظهر المتنبي التضعيف في "حاللٌ"، وهو من باب الضرورات. "وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات"[١].

---

١ انظر: تفصيل المسألة في المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦٢- ٣٦٣.

٢ انظر: القزاز، أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي- ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة، ص ٣٩.

٣ أبو الطيب المتنبي- ديوان أبي الطيب المتنبي، ج٣، ص٣٩٣.

٤ المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٩٣.

٥ المصدر نفسه، ج٤، ص١٨.

٦ المصدر نفسه، ج٤، ص٧٩.

٧ المصدر نفسه، ج٤، ص٥٥.

٨ المصدر نفسه، ج٤، ص٨٥.

٤٤- حَمَتْه على الأعداءِ من كُلِّ جانبٍ سيوفُ بني طُغج بن جُف القَماقمِ[٢]

حذف المتنبي الياء من كلمة قماقم ضرورة.

٤٥- ولا نبحتْ خَيْلي كلابُ قبائلٍ كأنَّ بِها في الليلِ حمْلاتُ دَيْلَم[٣]

أسكن الشاعر حملات ضرورة.

٤٦- طَرَدتُ مِن مِصرَ أَيديها بِأَرجُلِها، حَتّى مَرَقنَ بِنا مِن جَوشَ وَالعَلَمِ [٤]

أسكن الشاعر الياء من أيديها ضرورة.

٤٧- حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي المجدُ للسيف ليسُ المجدُ للقلمِ[٥]

قطع المتنبي ألف الوصل في أول البيت الثاني ضرورة.

٤٨- أفْدِي المُودَّعَةَ التي أتبعْتُها نظرًا فُرادى بَين زفْراتْ ثنُا[٦]

سكن زفرات ضرورة، لإن فَعْلة تجمع على فعَلات.

٤٩- فمُرْ وأومِ تُطعْ قُدِّستَ من جبلٍ تَبارَكَ الله مُجري الرّوح في حِضنِ[٧]

الأصل أومئ وحذف الهمزة ضرورة.

٥٠ – أفرَسُ مَن تَسبَحُ الجِيادُ بِهِ ** وَلَيسَ إلّا الحَديدَ أَمواهُ [٨]

إذا أعربنا أمواه خبر ليس كان فيه ضرورة، لأن الاسم نكرة، والخبر معرفة.

٥١- كُلّمَا استُلَّ ضاحَكَتْهُ إيَاةٌ، تَزْعُمُ الشّمسُ أنّهَا أرْآدُهْ

---

١ المصدر نفسه، ج٤، ص٨٥.

٢ أبو الطيب المتنبي- ديوان أبي الطيب المتنبي، ج٤، ص١١٥.

٣ المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٩.

٤ المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٦.

٥ المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٩.

٦ المصدر نفسه، ج٤، ص١٩٧.

٧ المصدر نفسه، ج٤، ص٢٢٠.

٨ المصدر نفسه، ج٤، ص٢٦٧.

يقول الدكتور مصطفى عليان: " والذي عندي في هذا البيت أنه ذكر الشمس إذ لم يكن تأنيثها حقيقيًا واضطرت القافية إلى تذكيره"[١].

٥٢- جَلَلاً كمَا بي فَلْيَكُ التّبْريحُ، أغِذاءُ ذا الرّشإِ الأغَنّ الشّيحُ [٢]

"حذف النون من تكن إذا استقبلتها اللام خطأ لأنها تتحرك إلى الكسر وإنما تحذف استخفافًا إذا سكنت وقد حكى المحتج عن المتنبي أن ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الألف واللام وقد حكاه أبو زيد عن العرب في نوادره"[٣].

٥٣- أبعد بَعُدتَ بياضًا لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلمِ[٤]

نحن لا نقول: هذا أسود من هذا، وإنما نقول: هذا أشدّ سوادًا من هذا وما أشدّ سواده. وقد جوّز الكوفيون قول المتنبي في اللونين الأبيض والأسود لأنهما أصل الألوان.

٥٤- وملومةٍ سَيفيّة تَصيْحُ الحَصى فيها صِياح اللَّقالِقِ[٥]

اضطر الشاعر فحذف ياء اللقلق.

٥٥- ظلومٌ كَمَتْنَيْها لصبٍّ كخَصْرِها ضعيفُ القوى من فِعلِها يتظلمُ[٦]

قوله من فعلها يتظلم زيادة في البيت ليست بتلك الجيدة، وإنما توصل بها إلى القافية.

٥٦- أنَّى يكونُ أبا البرية آدمٌ وأبوكَ والثقلان أنتَ محمدُ[٧]

---

١ مصطفى عليان- تيارات النقد في الأندلس، ص ٥٩٦-٥٩٧.

٢ المتنبي، ديوانه، ج١، ص ٢٣٤.

٣ القزاز، أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي، ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة، تحقيق وشرح ودراسة محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، دار المعارف، الإسكندرية، ص ٤٢.

٤ ديوان أبي المتنبي، ج٤، ص ٣٥.

٥ المصدر نفسه، ص٣٢٥.

٦ المصدر نفسه، ج٢، ص٨٢.

٧ المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤٠.

لقد فصل بين المبتدأ والخبر بجملة أجنبية في قوله: "وأبوك والثقلان أنت محمد. ويرى الدكتور مصطفى عليان أن ابن فورجه أقوم ذوقًا في تناوله للبيت حين تصور التقديم والتأخير فيه"[١].

٥٧- فالله يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ويَزيدُ مِنْ أعدائِهِ في آلِهِ[٢]

تقول العرب: "زيد من آل فلان، وإذا أضمرت وجب أن تقول: "من أهله" لأن أصل آل أهل"... ورآه غيره من ضرورات الشعر.

٥٨ – وَإنّ مُحالاً إذْ بكَ العَيشُ أنْ أُرَى وَجِسمُكَ مُعتَلٌّ وجِسميَ صَالِحُ[٣]

جعل اسم إن نكرة للضرورة.

٥٩- فَرُؤوسُ الرِماحِ أَذهَبُ لِلغَيظِ وَأَشفى لِغِلِّ صَدرِ الحَقودِ[٤]

الوجه أن يقول: أشدّ إذهابًا للغيظ لإن "أفعل" لا يبنى من الأفعال إلا في ضرورة الشعر[٥].

٦٠- قامَتْ على فَرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهابَتِهِ ولَيسَ تَعقِلُ ما تأتي وما تَذَرُ[٦]

جعل اسم كان نكرة ضرورة.

٦١- أطَعْتُ الغَواني قَبلَ مَطمَحِ ناظري إلى مَنظَرٍ يَصغُرنَ عَنهُ وَيَعْظُمُ[٧]

أسكن المتنبي الياء في كلمة الغواني ضرورة.

٦٢- وَفي تَعَبٍ مَن يحسُدُ الشمسَ نورَها وَيَجْهَدُ أنْ يأتي لهَا بضَرِيبِ[٨]

---

١ مصطفى عليان- تيارات النقد في الأندلس، ص ٦٠٠.
٢ ديوان المتنبي، ج٣، ص٦١.
٣ ديوان المتنبي، ج١، ص٢٤١.
٤ المصدر نفسه، ج١، ص ٣٢١.
٥ انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ٣٢١.
٦ المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٩.
٧ المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٥٠.
٨ المصدر نفسه، ج١، ص٥٦.

أسكن المتنبي الياء في "يأتي" ضرورة.

٦٣- أُسائِلُ عَنكِ بعدَكِ كلّ مَجدٍ وما عَهدي بمَجدٍ عَنكِ خالي[١]

أسكن الياء في "خالي" ضرورة.

٦٤- لَيسَ كما ظَنّ، غَشيَةٌ عرَضَتْ فَجِئتَني في خِلالهَا قَاصِدْ[٢]

سكن قاصد وهو حال.

ما يزاد في القوافي للضرورة

ومن الضرورات التي يشار إليها في شعر المتنبي ما يزاد في القوافي أي جعل الصائت القصير صائتًا طويلًا، وقد نسميه الإطلاق وقد نسميه الإشباع. وهو موجود بكثرة في شعر المتنبي، ويكاد يطغى على جميع قوافي قصائده. والإطلاق: زيادة لها غاية تطريبية أو تنفيسية يبث فيها ومن خلالها الشاعر شحنات رؤيته التصويرية، ويتمثل هذا في استثمار الطاقة الكامنة في الأصوات الصائتة لامتلاكها صفة الجهر وقوة الإسماع العالية، ونجد هذا في قصيدته التي مطلعها:

لَيَاليّ بَعْدَ الظّاعِنِينَ شُكُولُ طِوالٌ وَلَيْلُ العاشِقينَ طَويلُ[٣]

وفي قصيدته التي مطلعها: رويدك أيها الملك الجليل تأنى وعدّه مما تنيل[٤]

وفي قصيدته التي مطلعها:

نُعِدُّ المَشرفيةَ والعَوالِي وتقتلنا المنونُ بِلا قِتال[٥]

---

١ المصدر نفسه، ج٣، ص ١٤.

٢ المصدر نفسه، ج٢، ص٧٠.

٣ المصدر نفسه، ج٣، ص٩٥.

٤ المصدر نفسه، ج٣، ص٣.

٥ المصدر نفسه، ج٣، ص٨.

وفي قصائد أخرى كثيرة. وإنما زادت هذه الزيادة في الشعر في القوافي لأنهم يترنمون بالشعر ويحدون به، ويقع فيه تطريب، وأكثر ما يقع في الأواخر.

وقد جرت العادة أن يقسم المعنيون بالدرس الضرورات إلى أصناف، كل حسب رؤيته من الزيادة والنقص والإبدال، وما إلى ذلك. وقد سبق ابن سراج إلى أول تقسيم علمي ومنهجي للضرورات، حصر فيه أنماط الضرورات الشعرية في ستة أنواع: الحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، وإبدال حرف، وتغيير إعراب من وجه على التأويل، وتأنيث مذكر على التأويل. ورأى أبو سعيد السيرافي أنها على تسعة أوجه: هي الزيادة والنقصان والحذف والتقديم والتأخير والإبدال وتغيير وجه من الإعراب إلى وجه آخر على طريق التشبيه، وتأنيث المذكر وتذكير المؤنث[١]. وإننا لننزع إلى عرض ضروبها وفق التصور الآتي:

الزيادة، والحذف، والتغيير في اللفظ، والتغيير في الجملة.

أما الزيادة– كما يراها الباحث– فهي كل ما يزاد على اللفظة أو الجملة ويشمل: الإشباع أو الإطلاق، وتنوين غير المصروف، وتثقيل النون، وقطع الوصل، وتحريك ما هو ساكن.

وأما الحذف– كما يراه الباحث– فهو كل ما ينقص من حركة الكلمة أو من الجملة ويشمل: التسكين، والحذف، وعدم تنوين ما يصرف، والتخفيف، وتذكير المؤنث، وتنكير المعرف.

وأما التغيير في اللفظ فهو كل تغيير يجري على الكلمة لا يكون فيه حذف أو زيادة عليها ومن ذلك: الإبدال، والإقلاب، وتغيير مواقع الحروف، وإظهار التضعيف.

---

١ السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (٣٦٨هـ)– ما يحتمل الشعر من الضرورة، تحقيق عوض بن حمد القوزي، ط٢، ١٩٩١، ص٣٤.

وأما التغيير يجري على الجملة فهو في التقديم والتأخير، وصرف ما لا ينصرف، وعدم صرف ما يصرف بإبدال الحركات.

إن هذا العدد من الشواهد على وجود الضروة في شعر المتنبي، وما قد نضيفه إليها من شواهد، وما ذكرناه عن الإطلاق في قوافي المتنبي – يشير إلى ما يأتي:

– إن الضرورة تشكل ظاهرة أسلوبية في شعر المتنبي، وهي ظاهرة تستحق الدراسة لما تحمله من إشارات دالة ومفيدة على فهم نفسية المتنبي وطريقته، والتعرف إلى منحاه النحوي.

(١)جدول التوضيحي لارتباط الضرورة الشعرية بالأغراض الشعرية في شعر المتنبي :

الغرض	البيـــــــت	البحر	العدد
الإخوانيات	١ - أتُنكِرُ يابنَ إسحاقٍ إخائي وتحسبُ ماءَ غيريَ من إنائي ٢ - شيمُ الليالي أنْ تُشكِكَ ناقتي صَدري بها أفضَى إلى البيداء	الوافر الكامل	٢
الهجاء	١ - روامِي الكفافِ وكبْد الوهادِ وجارِ البويرةِ وادي الغضَى	المتقارب	١
المراثي	١ - وَيَلقى كما تَلقى مِن السَّلم والوغَى ويُمسي كما تُمسي مَليكا بلا مِثلِ ٢ - يعزُّ عليه أنْ يُخل بعادةٍ وتدعوُ لأمرٍ وهو غيرُ مُجيبِ ٣ - طَرَدتُ مِن مِصرَ أيديها بأرجُلِها، حَتّى مَرَقنَ بِنا مِن جَوشَ وَالعَلَمِ ٤ - حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي المجدُ للسيف ليسُ المجدُ للقلمِ ٥ - وَيحٌ تعَبٍ مَن يحسُدُ الشمسَ نورَها وَيَجْهَدُ أنْ يأتي لهَا بضَرِيبِ	الطويل الكامل البسيط البسيط الكامل	٥
المـــــدح والتهاني	١ - أبي الشُموسُ الجانِحاتُ غوارِبا اللابِساتُ مِنَ الحَريرِ جَلابِبا ٢ - ليس بالمُنكرِ أنْ برزْت سبُقا غير مدفوعٍ عن السَّبْقِ العِرابُ ٣ - رَمَوا بنواصيها القسيّ فجِئنَها دَوَامي الهَوَادي سالماتِ الجوانبِ ٤ - جَلاَّ كمَا بي فَليَكُ التَّبْريحُ، أعْيَاءُ ذا الرّشإِ الأغنّ الشّيحُ ٥ - وحمدان وحمدونٌ وحمدونُ حارثٌ وحارثُ لقمانٌ، ولقمانُ راشدُ ٦ - لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا ٧ - وانّكَ بالأمْسِ كُنْتَ مُحْتلِماً، شَيْخَ مَعَدٍ وَأنْتَ أمْرَدُهَا ٨ - لهفانَ يستوبي بك الغضبُ الورى لو لم يُنَهْنِهْكَ الحِجا والسّؤددُ ٩ - أحادٌ أمْ سُداسٌ في أحادِ لُيلتنا المنوطة بالتنادِ ١٠ - وما عِشْتَ ما ماتُوا ولا أبَواهُمُ، تميمُ بنُ مُرٍّ وابنُ طابخةٍ أدُّ ١١ - هَبكَ ابنَ يَزدادٍ حَطمتَ وَصَحبَهُ، أترى الوَرى أضحَوا بَني يَزدادا ١٢ - سدَّت عليه المشرفيةُ طرْقه فانصاع لا حلبًا ولا بغدادا	الكامل الرمل الطويل الكامل الطويل الطويل المنسرح الكامل الوافر الطويل الكامل الكامل الطويل البسيط الطويل	٥٠

	١٣ - مَرَتك ابن إبراهيمَ صافيةُ الخمرِ وهنّئتها من شاربٍ مسكرِ السُّكرِ	الكامل	
	١٤ - قامَتْ على فَرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهابَتِه وليسَ تعقِلُ ما تأتي وما تذرُ	الكامل	
	١٥ - أو ابنَ ابنهِ الباقي عليَّ بنَ	أحمدٍ يجود به لو لم أجُزْ ويدي صفرُ	الطويل
	١٦ - هذى برزتِ لنا فُهِجتِ رُسيسا ثمَّ انثنيتِ وما شفيتِ نسيسَا	السريع	
	١٧ - مَلِكٌ إذا عادَيتَ نفسَكَ عادهِ، ورَضيتَ أوحشَ ما كرِهتَ أنيْسَا	الطويل	
	١٨ - فأرْحامُ شِعْرٍ يتّصِلْنَ لدُنّهُ، وَأرْحامُ مالٍ ما تَني تتقطّعُ	الطويل	
	١٩ - فمتى يكذّبُ مُدعٍ لكَ فوقَ ذا واللهُ يشهدُ أنّ حقاً ما ادّعَى	الخفيف	
	٢٠ - إذا شاء أن يلهُوْ بلِحية أحمقٍ أراه غُبارى، ثم قال له الحقِ	السريع	
	٢١ - أتاهمْ بها حشوَ العَجاجةِ والقنا سنابكُها تحشو بطونَ الحَمالقِ	الخفيف	
	٢٢ - ألمّ يَحذروا مَسخَ الذي يَمسَخُ العِداويَجعلُ أيْدي الأسدِ أيدي الحرانقِ	الطويل	
	٢٣ - كيفَ ترثي التي ترى كلَّ جفنٍ راءَها غيرَ جَفْنِها غيرَ راقي	الطويل	
	٢٤ - لم ترَ مَنْ نادمتَ إلاكا لا لِسوى وُدّكَ لي ذاكا	الوافر	
	٢٥ - ليس إلاّك يا عليُّ هُمامٌ سَيْفُه دونَ عِرضِه مَسْلولُ	الوافر	
	٢٦ - إلى واحدِ الدنيا إلى ابنِ محمدٍ شجاعِ الذي لله ثم له الفضلُ	الكامل	
	٢٧ - إلى القابضِ الأرواحِ والضَّيْغَمِ الذي تحدَّثُ عن وقفاتِه الخيلُ والرجلُ	الطويل	
	٢٨ - بقائي شاءَ ليسَ همُ ارتحالا وحسنُ الصبرِ زمُّوا لا الجِمالا	الطويل	
	٢٩ - إلى البدرِ بنِ عمارٍ الذي لم يكنْ في غُرةِ الشهرِ الهلالا	البسيط	
	٣٠ - لو كان ما تُعطيهمُ مِن قبلِ أنْ تُعطيهمُ لمْ يعرفوا التأميلا	الطويل	
	٣١ - ونرمي نواصيها مِن اسْمكَ في الوغى بأنفذ من نشّبنا ومِن النبلِ	الوافر	
	٣٢ - أطعْتُ الغواني قبلَ مَطمَحِ ناظري إلى مَنظرٍ يَصغَرنَ عَنهُ وَيَعْظُمُ	الطويل	
	٣٣ - واحرَّ قلْبَاهُ مِمن قلْبُه شَبِمُ ومَن بجسمي وحَالي عِنْدَه سَقم	الطويل	
	٣٤ - وقد فجَعَتْه بابنه وابنِ صِهرِه وبالصِّهرِ حملاتُ الأميرِ الغواشمِ	الكامل	
	٣٥ - والنّقعُ يأخذ حرَّاناً وبَقْعَتُها والشمسُ تُسْفِرُ أحياناً وتلتثمُ	البسيط	
	٣٦ - أذاقَ الغواني حُسْنُه ما أذاقَني وعفَّ فجازاهُنَّ عَنّي على الصُّرمِ	المنسرح	
	٣٧ - ولا تَدْعُوك صاحِبه فتَرْضَى لأنَّ بصحبةٍ يَجبُ الذِّمامُ	الطويل	
		الطويل	
		الكامل	
		الكامل	

	٣٨- ولا يُبرم الأمرَ الذي هو حالّ ولا يُحلُ الأمر الذي هو مُبْرَمُ ٣٩- حَمَتْه على الأعداءِ من كُلِّ جانبٍ سيوفُ بني طُغج بن جُف القماقمِ ٤٠- ولا نبحتْ خَيْلي كلابُ قبائلٍ كأنَّ بِها في الليلِ حمُلاتُ دَيْلم ٤١- أفَدِي المُودَّعَة التي أتبعُتْها نظرًا فُرادى بَين زفَراتٌ ثنْا ٤٢- فمُرْ وأومِ تُطعْ قدّستَ من جبلٍ تباركَ اللهُ مُجري الرّوح في حِضنِ ٤٣- أفرَسُ مَنْ تسبَحُ الجِيادُ بِهِ ** وَليسَ إلّا الحَديدَ أمواهُ ٤٤- وملومةٍ سيفيّة تصيح الحصى فيها صياح اللقالق ٤٥- ظلومٌ كَمَئْنِيُها لصبٌ كخَصْرِها ضعيفُ القوى من فِعلِها يتظلمُ ٤٦- أنَّى يكونُ أبا البرية آدمٌ وأبوكَ والثقلان أنتَ محمدُ ٤٧- فالله يسعد كلَّ يوم جَدَّه ويزيدُ من أعدائه في آله ٤٨- قامَتْ على فرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهابَتِهِ وليسَ تعقِلُ ما تأتي وما تذرُ ٤٩- كُلّمَا اسئلَ ضاحَكَتْهُ إياةٌ، تزْعُمُ الشّمسُ أنّهَا أرْادَهُ ٥٠- أسائلُ عَنكِ بعدَكِ كلّ مَجدٍ وما عَهدي بمَجدٍ عنْكِ خالي	البسيط الخفيف الوافر	
الشكوى	١- فرُؤوسُ الرماحِ أذهَبُ لِلغيــظِ وَأشفى لِغِلِّ صَدرِ الحَقودِ ٢- أبعد بَعُدتَ بياضًا لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلمِ	الخفيف البسيط	٢

يبيّن الجدول السابقُ أن الضرائر في شعر المتنبي تكثر في المدح والتهاني، بل إنهما يستحوذان على النصيب الأكبر من الشواهد (٥٠ شاهدًا) . ويرى الباحثان أن المدح – في معظمه– باب من أبواب الكذب، ولذلك فإن القصدية في اللجوء إلى الضرورة ستكون أول احتمال إن أريد للباحثين أن يضعا احتمالات.

وتركز الضرورة في المدح قد يكون لسبب آخر واضح ألا وهو أن شعر المتنبي في معظمه مدح، ولكن علينا ألا نسقط من احتمالاتنا قصدية الشاعر.

(٢)جدول توضيحي يبين المكان العروضي للضرورة الشعرية في شعر المتنبي

الضـــــــــــرورة	مكانها	التفعيلة	البحر
١ - ظلومٌ كمَتْنَيْها لصبٌ كخصْرِها ضعيفُ القوى من فِعلِها يتظلمُ	الضرب	مفاعيلن	الطويل
٢ - أنَّى يكونُ أبا البرية آدمٌ وأبوكَ والثقلان أنتَ محمدُ	العجز	متفاعلن	الكامل
١ - شيمُ الليالي أنْ تُشكِكَ ناقتي صَدري بها أفضَى إلى البيداء	العجز	متفاعلن	الكامل
٢ - أبي الشُموسُ الجانِحاتُ غوارِبا اللابِساتُ مِنَ الحَرير جَلابِبا	الضرب	متفاعلن	الكامل
٣ -لهفانَ يستوبي بك الغضبُ الورى لو لم يُنهْنِهْكَ الحِجا والسّودد	الصدر	متفاعلن	الكامل
٤ - أحادٌ أمْ سُداسٌ في أحادِ لُيلتنا المنوطة بالتنادِ	الصدر	مفاعلتن	الوافر
٥ - وما عِشْتَ ما ماثوا ولا أبَواهُمُ، تميمُ بنُ مُرٍّ وابنُ طابِخةَ أدْ	الصدر	مفاعيلن	الطويل
٦ - مَرَتك ابن إبراهيمَ صافيةُ الخمرِ وهنّتها من شاربٍ مسكرِ السُكرِ	الصدر	فعولن	الطويل
٧ - هذى برزتِ لنا فُهِجتِ رُسيسا ثمَّ انثنيتِ وما شَفيتِ نسيسَا	الصدر	متفاعلن	الكامل
٨ - أتاهمْ بها حشوَ العَجاجةِ والقنا سنابِكُها تحشو بطونَ الحمالقِ	الضرب	مفاعيلن	الطويل
٩ - وملومةٍ سيفيّةٍ تصيح الحصى فيها صياح اللقالقِ	الضرب	مفاعيلن	الطويل
١٠ - جَلاَ كمَا بي فَلَيكُ النّبْريحُ، أغْذاءُ ذا الرّشإِ الأغنّ الشّيحُ	الصدر	متفاعلن	الكامل
١١ - - فمُرْ وأوم تُطعْ قدْستَ من جبلٍ تباركَ الله مُجري الرّوح في حِضنِ	الصدر	مستفعلن	البسيط
١٢ - حَمَتْه على الأعداءِ من كُلِّ جانبٍ سيوفُ بني طُفْجَ بن جُف القماقم	الضرب	مفاعيلن	الطويل
١٣ - ولا تدْعُوك صاحبه فترْضَى لأنَّ بصحبةٍ يَجبُ الذِّمامُ	العجز	مفاعلتن	الوافر
١٤ - مَلِكٌ إذا عادَيتَ نفسَكَ عادَه، وَرَضيتَ أوحَشَ ما كرِهتَ أنيْسَا	العروض	متفاعلن	الكامل
١٦ - واتّكَ بالأمْسِ كُنْتَ مُحْتلِماً، شَيْخَ مَعَدٍّ وَأنْتَ أمْرَدُهَا	الصدر	مستفعلن	المنسرح
١٧ - فالله يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ويَزيدُ مِنْ أعدائِه في آلِه	الضرب	متفاعلن	الكامل
١٨ - روامِي الكفافِ وكُبْد الوهادِ وجارِ البويرةِ وادي الغضَى	الصدر	فعولن	المتقارب
١٩ - يعزُّ عليه أنْ يُخل بعادةٍ وتدعوُ لأمرٍ وهو غيرُ مُجيبِ	العجز	متفاعلن	الكامل
٢٠ - رَمَوا بنواصيها القسيّ فجئنها دَوَامي الهَوَادي سالماتِ الجوانبِ	العجز	مفاعيلن	الطويل

٢١- وأنّ يكذبَ الإرجافُ عنه بضدهِ ويمسي إليه الجيشَ أهدى وما هدى	العجز	فعولن	الطويل
٢٢- أوِ ابنَ ابنهِ الباقي عليَّ بنَ أحمدٍ يجود به لو لم أجُز ويدي صفرُ	الصدر	مفاعيلن	الطويل
٢٣- إذا شاء أن يلهُوْ بلحية أحمقٍ أراه غُبارى، ثم قال له الحقِ	الصدر	مفاعيلن	الطويل
٢٤- ألم يحذروا مسخَ الذي يمسخ العدا ويجعلُ أيْدي الأسد أيدي الحرانقِ	العجز	مفاعيلن	الطويل
٢٥- أسائلُ عَنْكِ بعدَكِ كلّ مَجدٍ وما عَهدي بمَجدٍ عَنْكِ خالي	الضرب	فعولن	الوافر
٢٦- وَيَلقى كما تَلقى مِن السَّلم والوغى ويُمسي كما تُمسي مَليكا بلا مِثلِ	العجز	مستفعلن	البسيط
٢٧- إلى القابضِ الأرواحِ والضَّيْغمِ الذي تحدَّثُ عن وقفاتِهِ الخيلُ والرجلُ	العجز	مفاعيلن	الطويل
٢٨- لو كان ما تُعطيهمُ مِن قبلِ أنْ تُعطيهمُ لمْ يعرفوا التأميْلا	العجز	متفاعلن	الكامل
٢٩- وملومةٍ سيفيّة تصيح الحصى فيها صياح اللقالقِ	الضرب	مفاعيلن	الطويل
٣٠- واحرَّ قلبَاهُ مِمن قلبُه شَبِمُ ومَن بجسمي وحَالي عِنْدَه سَقم	الصدر	مستفعلن	البسيط
٣١- وقد فجَعَتْه بابنه وابنِ صِهْره وبالصِّهرِ حملاتُ الأميرِ الغواشمِ	العجز	مفاعيلن	الطويل
٣٢- أذاقَ الغواني حُسْنُه ما أذقْنني وعفَّ فجازاهُنَّ عنّي على الصُّرمِ	الصدر	مفاعيلن	الطويل
٣٤- ولا نبحتْ خيْلي كلابُ قبائلٍ كأنَّ بها في الليلِ حمْلاتُ دَيْلَم	العجز	مفاعيلن	الطويل
٣٥- طَرَدتُ مِن مِصرَ أيديها بأرجُلِها، حتّى مَرَقْنَ بنا مِن جَوشَ وَالعَلَمِ	الصدر	مستفعلن	البسيط
٣٦- أفَدِي المُودَّعَة التي أتبعْتُها نظرًا فُرادى بَين زفْراتٌ ثنًا	العجز	متفاعلن	الكامل
٣٧- فَأرْحامُ شِعْرٍ يتّصِلْنَ لدُنّهُ، وَأرْحامُ مالٍ ما تَني تتقطّعُ	العروض	مفاعيلن	الطويل
٣٨- ولا يُبرم الأمرَ الذي هو حالٌ ولا يُحلُ الأمر الذي هو مبْرَمُ	العروض	مفاعيلن	الطويل
٣٩- لم ترَ مَنْ نادمتَ إلاكا لا لِسَوى وُدّكَ لي ذاكا	العروض	مفعولات	السريع
٤٠- حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي المجدُ للسيف ليسُ المجدُ للقلمِ	العجز	مستفعلن	البسيط
٤١- وَإنّ مُحالاً إذْ بكَ العَيشُ أنْ أرَى وَجِسمُكَ مُعتلٌّ وجِسميَ صَالِحُ	الصدر	فعولن	الطويل
٤٢- أتُنكِرُ يابنَ إسحاقٍ إخائي وتحسِبُ ماءَ غيريَ من إنائي	الصدر	مفاعلتن	الوافر
٤٣- وحمدانُ وحمدونٌ وحمدونُ حارثٌ وحارثُ لقمانُ، ولقمانُ راشدُ	الصدر	فعولن	الطويل
٤٤- سدَّت عليه المشرفيةُ طرْقه فانصاع لا حلبًا ولا بغداذا	الضرب	متفاعلن	الكامل
٤٥- إلى واحدِ الدنيا إلى ابنِ محمدٍ شجاعِ الذي لله ثم له الفضلُ	العجز	فعولن	الطويل

٤٧- إلى البدر بن عمارٍ الذي لم يكنْ في غُرة الشهرِ الهلالا	الصدر	مفاعلتن	الوافر
٤٨- فلستُ غبيناً لو شَريتُ مَنيّتي، بإكرامِ دلّيرَ ابنِ لشكَروَزٍ لي لي	الضرب	مفاعيلن	الطويل
٤٩- والنّقعُ يأخذ حرَّاناً وبَقْعَتها والشمسُ تُسْفِرُ أحياناً وتلتثمُ	الصدر	مستفعلن	البسيط
٥٠- أفرَسُ مَن تسبَحُ الجيادُ به ** وَليسَ إلّا الحَديدَ أمواهُ	الصدر	مستفعلن	المنسرح
٥١- أبعد بَعُدتَ بياضًا لا بياض له لأنتَ أسودُ في عيني من الظلمِ	العجز	متفاعلن	الكامل
٥٢- كلّمَا اسْلَّ ضاحَكَتْهُ إيَاةٌ، تزْعُمُ الشّمسُ أنّهَا أرْآدُهْ	الضرب	فاعلاتن	الخفيف
٥٣- فمتى يكذّبُ مدعٍ لك فوق ذا واللهُ يشهدُ أنّ حقاً ما ادّعى	العجز	مستفعلن	السريع
٥٤- فإن أسكرتنا ففي جهاها بما فعلته بنا عذرها	العجز	فعولن	المتقارب
٥٥- كيفَ ترثي التي ترى كلَّ جفنٍ راءَها غيرَ جَفْنِها غيرَ راقي	العجز	فاعلاتن	الخفيف
٥٦- بقائي شاءَ ليسَ همُ ارتحالا وحُسنُ الصبرِ زمُّوا لا الجمالا ٥٧-	الصدر	مفاعلتن	الوافر
ليس بالمُنْكرِ أنْ برزْت سبْقا غير مدفوعٍ عن السَّبْقِ العِرابُ	العروض	فاعلاتن	الرمل
٥٨- فرُؤوسُ الرماحِ أذهَبُ لِلغَيــظِ وَأشفى لِغِلِّ صَدرِ الحَقودِ	الصدر	فاعلاتن	الخفيف
٥٩- قامَتْ على فرْدِ رجْلٍ مِنْ مَهابَتِهِ وليسَ تعقِلُ ما تأتي وما تذرُ	العجز	مستفعلن	البسيط
٦٠- أطعْتُ الغواني قبلَ مَطمَحِ ناظري إلى مَنظرٍ يَصغَرنَ عَنهُ وَيَعْظُمُ	الصدر	مفاعيلن	الطويل
٦١- ونرمي نواصيها مِن اسْمكَ في الوغى بأنفذ من نشّبنا ومِن النبلِ	الصدر	مفاعيلن	الطويل
٦٢- وَفي تعَبٍ مَن يحسُدُ الشمسَ نورَها وَيَجْهَدُ أنّ يأتي لهَا بضَريبِ	العجز	متفاعلن	الكامل
٦٣- ليسَ كما ظنّ، غشيَةٌ عرَضَتْ فجِئْتني في خِلالهَا قاصِدْ	الضرب	مستفعلن	المنسرح

(٣)الجدول التوضيحي للبحور الشعرية التي حملت الضرورة الشعرية في شعر المتنبي

البحر	العدد
الخفيف	٢
المديد	٠
الرمل	١
البسيط	٧
السريع	٢
الرجز	٠
المنسرح	٣
المجتث	٠
الطويل	٢٥
المتقارب	٢
الهزج	٠
المضارع	٠
الكامل	١٣
الوافر	٦
المتدارك	٠
المتقارب	٠

يشير الجدول (٢) إلى ما يأتي:

جاءت الضرورة في الضرب عشر مرات

جاءت الضرورة في العروض خمس مرات

جاءت الضرورة في الصدر أربعًا وعشرين مرة

جاءت الضرورة في العجز ثلاثًا وعشرين مرة

تشير النتائج السابقة إلى أن الضرورة قد توزعت على أجزاء البيت، فهي موجودة في الصدر والعجز والضرب والعروض. وتشير إلى أن المتنبي قد اضطر في الضرب عشر مرات، ونحن نعلم أن الضرب مجاله مفتوح على احتمالات كثيرة لما يلحق بالتفعيلة من زحافات مفردة ومزدوجة وعلل[١].

أما الجدول (٣) فإنه يشير إلى ما يأتي:

استخدم المتنبي الضرورة في البحر الطويل خمسة وعشرين مرة، وفي البحر الكامل ثلاث عشرة مرة، وفي البحر البسيط سبع مرات، واستخدم الضرورة مرات قليلة في الوافر والرمل والخفيف والمتقارب والمنسرح والسريع أما بقية البحور فلم يجد الباحثان فيها ضرائر.

إن فهرس القوافي في ديوان المتنبي يقول ما يأتي: إن المتنبي يستخدم في ديوانه البحور الشعرية التالية: الطويل، والبسيط، ومجزوء البسيط، ومخلع البسيط، والوافر، ومجزوء الوافر، والكامل ومجزوء الكامل، والرمل ومجزوء

١ عمر الأسعد– معالم العروض والقافية، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، الزرقاء، ١٩٨٤، ص ١٤.

الرمل، والسريع، والخفيف ومجزوء الخفيف، والمتقارب، والمديد، والهزج، والرجز ومجزوء الرجز، والمنسرح.

إن وجود الضرورات في بحور شعرية وعدم وجودها في بحور أخرى يدفع الباحثين إلى افتراض القصدية في استخدام الضرورة في شعر المتنبي.

ويزيدنا تمسكًا بما افترضناه تمركز الضرورات في بحور ثلاثة، وقلتها في ستة، وانعدامها في بقية البحور.

إن في وجود الضرورة في ضرب البحر الطويل عشر مرات ما يدفع الباحثين إلى الإصرار على فرضية القصد؛ لأن عروض البحر الطويل له ثلاثة أضرب: مفاعيلن ومفاعلن وفعولن، وهذا يعني أن الباب كان مفتوحًا للمتنبي ليختار من المعجم الشعري ما يحقق له المعنى والتأثير. والضرب في البحر الكامل والبحر البسيط ينفتح على تغيرات جائزة وكافية للشاعر المبدع كي لا يضطر.

ويوضح الجدول (٢) توزيع الضرورات على التفعيلات، فقد أخذت تفعيلة البحر الطويل (مفاعيلن) العدد الأكبر من الضرورات، ثم تلتها تفعيلة البحر الكامل (متفاعلن)، ثم تفعيلة البحر البسيط (مستفعلن). وهذا يوافق ما توصلنا إليه مسبقًا.

(٤)الجدول التوضيحي لأنواع الضرائر في شعر المتنبي

البيت الذي فيه الضرورة	نوع الضرورة
أتُنكِرُ يابنَ إسحاقٍ إخائي وتحسِبُ ماءَ غيريَ من إنائي	صرف المتنبي إسحاق
وحمدانُ وحمدونٌ وحمدونُ حارثٌ وحارثُ لقمانٌ، ولقمانُ راشدُ	ترك صرف حمدون
هَبكَ اِبنَ يَزدادٍ حَطمتَ وَصَحبَهُ، أترى الوَرى أضحَوا بَني يَزداذا	صرف "يزداذ" ضرورة
سدَّت عليه المشرفيةُ طرْقه فانصاع لا حلبًا ولا بغدادًا	صرف المتنبي كلمتي (حلب) و(بغداد)
إلى واحدِ الدنيا إلى ابنِ محمدٍ شجاعِ الذي للّه ثم له الفضلُ	ترك المتنبي تنوين شجاع ضرورة
إلى البدر بن عمارٍ الذي لم يكنْ في غُرة الشهرِ الهلالا	ترك المتنبي تنوين عمار ضرورة
فَلستُ غَبيناً لَو شَرَيتُ مَنِيَّتي، بِإكرامِ دِلّيرَ اِبنِ لَشكَرَوَزٌ لي	جعل المتنبي الاسمين اسمًا واحدًا، ففتح الراء، وصرف الاسم ضرورة
والنّقعُ يأخذ حرَّانا وبَقّعَتها والشمسُ تُسْفِرُ أحياناً وتلتثمُ	صرف حرّان ضرورة
لَيسَ كما ظَنّ، غَشيَةٌ عرَضَتْ فجِئتني في خِلالِهَا قاصِدُ	سكّن قاصد وهي حال
ولا نبحتْ خَيْلي كلابُ قبائلٍ كأنَّ بِها في الليلِ حمّلاتُ دَيْلَم	سكّن الشاعر حملات ضرورة
روامِي الكفافِ وكبْد الوهادِ وجارِ البويرةِ وادي الغضَى	سكّن المتنبي الياء ضرورة في كلمة "روامي"
يعزُّ عليه أنْ يُخل بعادةٍ وتدعوْ لأمرٍ وهو غيرُ مُجيبِ	سكّن المتنبي الواو في (تدعو) ضرورة

رَمَوا بنواصيها القسيّ فجئنها دَوَامي الهَوَادي سالماتِ الجوانبِ	سكّن الياء ضرورة
وأنّ يكذبَ الإرجافُ عنه بضدهِ ويمسي إليه الجيشَ أهدى وما هدى	سكّن الياء من (يمسي) ضرورة
أوِ ابنَ ابنهِ الباقي عليَّ بنَ... أحمدٍ يجود به لو لم أجُز ويدي صفر	سكّن الشاعر الياء ضرورة
إذا شاء أن يلهُوَ بِلحية أحمقٍ أراه غُبارى، ثم قال له الحقِ	سكّن المتنبي الواو من الفعل، وهو منصوب
ألم يحذروا مسخَ الذي يمسخ العدا ويجعلُ أيْدي الأسد أيدي الحرانقِ	سكّن الياء من الأيدي ضرورة
لو كان ما تُعطيهمُ مِن قبلِ أنّ تُعطيهمُ لمّ يعرفوا التأميْلا	سكّن الياء من الفعل المنصوب ضرورة
وَيَلقى كما تلْقى مِن السَّلم والوغى ويُمسي كما تُمسي مَليكا بلا مِثلِ	سكّن المتنبي تمسي ضرورة
إلى القابضِ الأرواحِ والضَّيْغمِ الذي تحدَّثُ عن وقفاتِه الخيلُ والرجلُ	وقفاته: جمع وقفة، سكن القاف للضرورة
ونرمي نواصيْها مِن اسْمكَ في الوغى بأنفذ من نشّبنا ومِن النبلِ	سكّن الياء في نواصيها ضرورة
وقد فجَعَتْه بابنه وابنِ صِهرِه وبالصِّهرِ حملاتُ الأميرِ الغواشمِ	سكّن المتنبي الميم من حملات ضرورة
أذاقَ الغواني حُسْنُه ما أذقْنني وعفَّ فجازاهُنَّ عَنّي على الصُّرمِ	سكن الغواني ضرورة
طَرَدتُ مِن مِصرَ أيديها بأرجُلِها، حتّى مَرَقنَ بِنا مِن جَوشَ وَالعَلَمِ	سكن الشاعر الياء من أيديها ضرورة
أفْدِي المُودَّعَة التي أتبعْتُها نظرًا فُرادى بَين زفَراتٌ ثنْا	سكن زفرات ضرورة ، لإن فعلة تجمع على فعَلات
أذاقَ الغواني حُسْنُه ما أذقْنني وعفَّ فجازاهُنَّ عَنّي على الصُّرمِ أطعْتُ	أسكن المتنبي الياء في كلمة

الغواني قبلَ مَطمَحِ ناظري إلى مَنظرٍ يَصغُرنَ عَنهُ وَيَعْظُمُ	الغواني ضرورة
وَيَتْعَبُ مَن يحسُدُ الشمسَ نورَها وَيَجْهَدُ أنْ يأتي لهَا بضَرِيبِ	أسكن المتنبي الياء في "يأتي" ضرورة
أسائِلُ عَنكِ بعدَكِ كلّ مَجدٍ وما عَهدي بمَجدٍ عَنكِ خالي	أسكن المتنبي الياء في خالي
حَمَتْه على الأعداءِ من كُلِّ جانبٍ سيوفُ بني طُغجَ بنِ جُفِ القماقمِ	حذف المتنبي الياء من كلمة قماقم ضرورة
مَلِكٌ إذا عادَيتَ نفسَكَ عادِهِ، وَرَضيتَ أوحَشَ ما كَرِهتَ أنِيْسَا	حذف الفاء ضرورة
وما عِشْتَ ما ماتُوا ولا آبَواهُمُ، تميمُ بنُ مُرٍّ وابنُ طابخَةٍ أدُّ	حذف المتنبي الفاء ضرورة
أحادٌ أمْ سُداسٌ في أحادٍ لُيلتنا المنوطة بالتنادِ	حذف المتنبي همزة الاستفهام ضرورة
شيمُ الليالي أنّ تُشكِكَ ناقتي صَدري بها أفضَى إلى البيداء	حذف همزة الاستفهام
أبي الشُموسُ الجانِحاتُ غَوارِبا اللابِساتُ مِنَ الحَريرِ جَلابِبا	حذف الياء في كلمة جلابيب ضرورة
وأنّكَ بالأمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً، شَيْخَ مَعَدٍّ وَأنْتَ أمْرَدُهَا	خفف "أنّك" ضرورة
مَرَتْكَ ابنَ إبراهيمَ صافيةُ الخمرِ وهنّأتها من شاربٍ مسكرِ السُّكرِ	حذف الشاعر همزة مرأتك ضرورة
هذي برزتِ لنا فهجتِ رسيسا ثمَّ انثنيتِ وما شفيتِ نسيسا	حذف المتنبي حرف النداء ضرورة
مَلِكٌ إذا عادَيتَ نفسَكَ عادِهِ، وَرَضيتَ أوحَشَ ما كَرِهتَ أنِيْسَا	حذف الشاعر الفاء ضرورة
أتاهمْ بها حشوَ العَجاجةِ والقنا سنابِكُها تحشو بطونَ الحمالقِ	حذف المتنبي الياء من كلمة حماليق ليقيم الوزن
لم ترَ مَنْ نادمتَ إلاكا لا لِسَوى وُدِّكَ لي ذاكا	"إلاكا" هو جائز في ضرورة الشعر والأجود إياك

تنام لديك الرُّسْلُ أمنا وغبطةً وأجفانُ ربِّ الرسّل ليس تنامُ	حذف تاء التأنيث في ليس ضرورة
ولا نَدْعُوك صاحِبه فتَرْضَى لأنَّ بصحبةٍ يَجبُ الذِّمامُ	حذف المتنبي الهاء ضرورة من بصحبة
فمُرْ وأومِ تُطعْ قُدّستَ من جبلٍ تباركَ اللّه مُجري الرّوح في حِضنِ	حذف الهمزة ضرورة في أومئ
جَلالاً كمَا بي فَلَيَكُ التّبْريحُ، أغذاءُ ذا الرّشإِ الأغنّ الشّيحُ	حذف النون من تكن إذا استقبلتها اللام
ليس بالمُنْكرِ أنّ برزَّت سبْقا غير مدفوعٍ عن السَّبْقِ العِرابُ	ذكر ما حقه التأنيث في كلمة "مدفوع"
وملومةٍ سيفيّة تصيح الحصى فيها صياح اللقالقِ	اضطر الشاعر فحذف ياء اللقلق
ولا يُبرم الأمرَ الذي هو حالٌّ ولا يُحلُ الأمر الذي هو مبْرَمُ	أظهر المتنبي التضعيف في "حالل"
يستوبي بك الغضبُ الورى لو لم يُنَهْنِهْكَ الحِجا والسّوددُ	أبدل من الهمزة ياء في كلمة يستوبي
فأرْحامُ شِعْرٍ يتّصِلْنَ لدُنّهُ، وَأرْحامُ مالٍ ما تَنى تتقطّعُ	ثقل النون ضرورة في لدنّه
فمتى يكذّبُ مدعٍ لك فوق ذا واللّهُ يشهدُ أنّ حقاً ما ادّعى	جعل المتنبي اسم "أن " نكرة
كيفَ ترثي التي ترى كلَّ جفنٍ راءَها غيرَ جَفْنِها غيرَ راقي	أخر المتنبي الهمزة في كلمة(راءها) ضرورة
ليس إلاّك يا عليُّ هُمامٌ سَيْفُه دونَ عِرضِه مَسْلولُ	أتى المتنبي بالضمير المتصل في موضع المنفصل للضرورة
في الشربِ جاريَةٌ مِن تحتِها خشَبٌ، ما كانَ والِدَها جِنٌّ وَلا بَشَرُ	جعل المتنبي اسم كان نكرة

	ضرورة
بقائي شاءَ ليس همُ ارتحالا وحسنُ الصبرِ زمُّوا لا الجِمالا	استعمل الضمير المنفصل موضع المتصل
واحرَّ قلبَاهُ مِمن قلبُه شَبِمُ ومَن بجسمي وحَالي عِنْدَه سَقم	وصل المندوب وحرك الهاء، وهي هاء إنما تدخل في الوقف. وهي ساكنة أبدًا.
حتى رجعتُ وأقلامي قوائلُ لي المجدُ للسيف ليسُ المجدُ للقلمِ	قطع المتنبي ألف الوصل في أول البيت الثاني
أفرَسُ مَن تسبَحُ الجِيادُ بِهِ ** وَليسَ إلّا الحَديدَ أمواهُ	إذا أعربنا أمواه خبر ليس كان فيه ضرورة، لأن الاسم نكرة، والخبر معرفة.
كُلّمَا اسْلَّ ضاحَكَتْهُ إيَاةٌ تزْعُمُ الشّمسُ أنّهَا أرْآدُهْ	ذكر الشمس إذ لم يكن تأنيثها حقيقيًا واضطرت القافية إلى تذكيره
أبعد بَعُدتَ بياضًا لا بياضَ له لأنتَ أسودُ في عيني من الظلمِ	جوّز الكوفيون قول المتنبي في اللونين الأبيض والأسود لأنهما أصل الألوان
ظلومٌ كمَثْنيْهَا لصبٌ كخصْرِها ضعيفُ القوى من فِعلِها يتظلمُ	قوله من فعلها يتظلم زيادة في البيت ليست بتلك الجيدة، وإنما توصل بها إلى القافية.
أأَنى يكونُ أبا البرية آدمٌ وأبوكَ والثقلان أنتَ محمدُ	يرى الدكتور مصطفى عليان أن ابن فورجه أقوم ذوقا في

	تناوله للبيت حين تصور التقديم والتأخير فيه.
فالله يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ويَزيدُ مِنْ أعدائِهِ في آلِهِ	تقول العرب: "زيد من آل فلان، وإذا أضمرت وجب أن تقول: "من أهله" لأن أصل آل أهل... ورآه غيره من ضرورات الشعر.
وَإنّ مُحالاً إذْ بكَ العَيشُ أنْ أرَى وَجِسمُكَ مُعتَلٌّ وجِسمي صَالِحُ	جعل اسم إن نكرة للضرورة
فَرُؤوسُ الرِماحِ أذهَبُ لِلغَيظِ وَأشفى لِغِلِّ صَدرِ الحَقودِ	الوجه أن يقول أشد إذهابًا للغيظ لإن "أفعل" لا يبنى من الأفعال إلا في ضرورة الشعر
قامَتْ على فَرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهابَتِهِ وليسَ تعقِلُ ما تأتي وما تذرُ	جعل اسم كان نكرة ضرورة

(٥)الجدول التوضيحي لعدد نوع الضرورة الشعرية في شعر المتنبي

نوع الضرورة	عددها
إسكان حرف[١]	**٢٠**
حذف حرف[٢]	**١٤**
صرف ما لا ينصرف أو عدم صرف ما ينصرف[٣]	**٧**
زيادة حرف	**٢**
تخفيف حرف[٤]	**٢**
حالات أخرى (تقديم وتأخير واسم كان واسم إن وتغيير في الحروف وترتيبها واستعمال ما لايستعمله العرب)	**١٩**

١ **انظر**: القزاز، أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي، ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة، **ص ١٠٩**.
٢ المصدر نفسه، ص١٢٦.
٣ المصدر نفسه، ص٨٣.
٤ المصدر نفسه، ص١٢٣.

نتائج البحث

لعل من يقرأ هذه الجداول، ويربطها بما عرف عن ثقافة المتنبي وسعة اطلاعه على اللغة والنحو، لن يجد كبير عناء في ملاحظة ما يأتي:

أولًا: لقد كان الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين **حاضرًا في الضرائر التي في شعر** المتنبي، ودليل ذلك ما نقله العكبري من اختلاف النحاة في بعض الضرورات في شعر المتنبي:

وحمدانُ وحمدونٌ وحمدونُ حارثٌ وحارثُ لقمانٌ، ولقمانُ راشدُ[1]

إن المتنبي يترك صرف حمدون وهو منصرف وفي ترك صرفه اختلف البصريون والكوفيون وأباه سيبويه[2]، وهو يصرف حمدون في البيت نفسه مما يدل على معرفته وقصديته.

ويختلف الكوفيون والبصريون في كسر الهاء في قول المتنبي:

واحرَّ قلْبَاهُ مِمن قلْبُه شَبِمُ ومَن بجسمي وحَالي عِنْدَه سَقم[3]

ويثير بيت المتنبي التالي خلافًا حول جواب الشرط:

هندية إن تصغر معشرًا صغروا قبل المجوس إلى ذا اليوم تضطرم[4]

---

١ أبو الطيب المتنبي– ديوان أبي الطيب المتنبي، ج١، ص ٢٧٧.
٢ انظر: السيرافي– ما يحتمل الشعر من الضرورة، ص ٤٣.
٣ المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦٢.
٤ المصدر نفسه،ج٤، ص ٢٢.

ويثير بيت المتنبي التالي الخلاف حول أفعل **التفضيل** من الأسماء التي على وزن أفعل التي مؤنثها فعلاء. لقد جوّز الكوفيون قول المتنبي في اللونين الأبيض والأسود لأنهما أصل الألوان، وخالفهم في ذلك أبو الفتح وابن جني وابن القطاع والواحدي والخطيب:

أبعد بَعُدتَ بياضًا لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلمِ [1]

ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن المتنبي قد قصد أن يكون في أبياته ما يثير القارئ، ولعل في ما قاله العكبري من أن المتنبي قد قصد إلى الضرورة ليعلمنا أنه يعرف بأمر الضرورات ما يؤيد صحة ما ذهبنا إليه [2].

وفي ديوان المتنبي أمثلة كثيرة تشير إلى رغبة الشاعر في أن يكون **شعره حاضرًا** في الخلافات النحوية واللغوية.

وها هو المتنبي يقول:

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا، وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ

ثانيًا: إن ثقافة المتنبي النحوية واللغوية واسعة، ويرفض الباحثان مبدأ اضطرار الشاعر إلى قول شيء لا يريد قوله، أو أن يكون جاهلًا بأمور النحو واللغة حتى يضطر؛ فهو صاحب معجم واسع افتخر به المتنبي وفاخر، وأشاد به كل من له دراية بالشعر:

١ انظر: المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٥.
٢ المصدر نفسه، ج٤، ص٨٥.

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأنطقتْ كلماتي من به صَمَمُ

وهو القائل:

الخيل الليل والبيداء تعرفني والضرب والطعن والقرطاس والقلم

ولعل المثال الآتي يوضح ما نقول ويؤكد صدقه وصحته:

أتُنكِرُ يابنَ إسحاقٍ إخائي وتحسِبُ ماءَ غيريَ من إنائي

صرف المتنبي (إسحاق) ضرورة، ولو أنه لم يمنعها من الصرف لما انكسر البيت ولكنه استُقبح في حالته تلك ففضل المتنبي أن يقال عنه يضطر على أن يستعمل ما يقبح في الوزن.

ثالثًا: إنَّ أكثر الضرائر في شعر المتنبي كانت في المديح، ونحن نعلم ما في المديح (معظمه) من تكلف وصنعة عند معظم الشعراء.

رابعًا: لقد استأثرت تفعيلتا "متفاعلن ومفاعيلن" بأكثر الضرورات ونحن نعلم أن مفاعيلن:

- يجوز حذف يائها حشوًا، فتصير إلى: مفاعلن.
- ويجوز فيها حذف النون، فتصير إلى: مفاعيل.

وأن "متفاعلن":

- يجوز فيها تسكين التاء في الحشو والعروض والضرب، فتصير إلى: متْفاعلن.
- ويجوز فيها حذف التاء، فتصير إلى: مفاعلن.
- ويجوز فيها تسكين التاء وحذف الألف، فتصير إلى متفعلن.

فهل كان المتنبي عاجزًا عن الإتيان بما يتناسب وهذه التفعيلة من الكلمات وهو- ما علمنا- صاحب المعجم الشعري الضخم والفطرة الشعرية السليمة؟

خامسًا: إن القراءة المتأنية للجدول (٥) تبيّن ما يأتي:

- تتركز الضرورات في معظمها حول **الحرف**، تسكينًا وحذفًا وتحريكًا وتخفيفًا.
- لقد نوع المتنبي في استخدام الضرورات تنويعًا لافتًا ودالًا، ولو لخصنا أنواع الضرورات في شعره وعددناها لوجدنا ما يأتي:

١- صرف الممنوع من الصرف تكرر أربع مرات، وتَرْك صرف المصروف أربع مرات.

٢- تسكين الياء في الاسم المنقوص تكرر خمس مرات وتسكينها في الفعل المعتل الآخر تكرر خمس مرات، وتسكين الحاء مرة واحدة، وتسكين العين في جمع المؤنث السالم تكرر أربع مرات، وتسكين الواو في الفعل المضارع المعتل الآخر تكرر مرتين.

٣- **حذف حرف:** حذف المتنبي الياء من الجموع التي تجمع على فواعيل أربع مرات، وحذف المتنبي الفاء من جواب الشرط ثلاث مرات، وحذف همزة الاستفهام مرتين، وحذف النون مرتين، وحذف الهمزة مرتين، وحذف كلًّا من تاء التأنيث وحرف النداء والهاء مرة واحدة

٤- وقد تكرر كل مما يأتي مرة واحدة: إبدال همزة، وتثقيل الحرف، وجعل اسم "أن" نكرة، وتأخير الهمزة، والإتيان بالضمير المتصل في موضع المنفصل، واستعمال الضمير المنفصل موضع المتصل، وقطع ألف الوصل.

ولعل في هذا التنوع ما يشير إلى:

- معرفة المتنبي بالضرورة ومواقعها وحسنها وقبيحها.
- إن المتنبي قد تحرك ضمن حدود واضحة في مجال الضرائر فهو- كما وجدنا- لم يرفع منصوبًا، ولم ينصب مخفوضًا، ولم يلحن.

سادسًا:

إن معظم الضرورات في شعر المتنبي تتركز حول الحذف والزيادة، ويظهر ذلك في تسكين الحروف أو حذفها سواء أكان ذلك في الأفعال أم في الأسماء، فهل يدل ذلك على شيء؟ يرى الباحثان ما يأتي:

أ- إن الشاعر يصر على حذف الياء من جمع المؤنث السالم؛ فقد حذفها أربع مرات: حماليق وجلابيب وقماقيم ولقاليق، وهذا يدل على أن الشاعر لم يكن مضطرًا بالقوة إلى حذف هذه الياء وإنما هو يصر على حذفها ويعرف مسبقًا أنه سيحذفها.

ب- يسكن المتنبي عين جمع المؤنث السالم في أكثر من حالة، فهو يسكن العين في: حملات، ووقفات، وزفرات، وهذا الإصرار على تسكين العين في جمع المؤنث السالم يشير إلى القصدية.

ت- حذف المتنبي الفاء من جواب الشرط الذي تتصل به الفاء وجوبًا ثلاث مرات، وهذا يعني أنه يقصد ذلك قصدًا ولم يضطر إليه اضطرارًا.

ث- تتركز معظم الضرورات في شعر المتنبي على حرف الياء، فقد جاء ساكنًا (للضرورة) ثلاث عشرة مرة، وحذفت الياء للضرورة ست مرات، أي إن مجموع الضرورات التي كان لحرف الياء نصيب فيها ثماني عشرة مرة. فهل من المعقول أن يسمح المتنبي للضرورة أن تطعه لحرف الياء؟

سابعًا: الموسيقى ودورها

لقد كان للموسيقى دور في وجود هذه الضرورات ولكنه دور تابع يتحكم الشاعر به ويقصده ويذهب إليه ليعطي شعره روحًا موسيقية وثابة فرحة أحيانًا، أو ليحمله أحزانه وخيبة أمله أحيانًا أخرى.

لقد اختار الشاعر البحور الشعرية القادرة على حمل روحه وتقلباتها، ولم يهمل القوافي أو حروف الروي؛ فقد استغل إمكانات تلك الحروف فأشبعها من أحزانه أو أفراحه أو آلامه، ولهذا فإن الإطلاق ليس إلا متنفسًا يذهب إليه الشاعر ليبثنا أحزانه الكثيرة.

ويتمثل هذا في استثمار الطاقة الكامنة في الأصوات الصائتة الطويلة، لامتلاكها صفة الجهر، وقوة الإسماع العلية، ودرجة الوضوح السمعي. ويتميز المقطع الذي ينتهي بالصائت الطويل بانفتاحه، أما الصوائت القصيرة فإن الشاعر يلجأ إلى مد كميتها الإنتاجية كي تقترب من بناء الصوائت الطويلة[١].

١ عبد القادر عبد الجليل– هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي رؤية لسانية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص ٣٥١.

الخاتمة:

استقصى الباحثان الضرورات الشعرية في ديوان المتنبي، ووجدا أنها تشكل ظاهرة أسلوبية.

وجد الباحثان أن بحورًا ثلاثة هي ما تركزت فيه الضرورات في شعر المتنبي فحاولا تفسير ذلك وربطه بما يظهر من قصدية المتنبي في دخول عالم الضرورة.

بين الباحثان أن معظم الضرورات تتركز حول حذف حرف أو إسكان حرف، وأنها متنوعة بشكل لافت.

لم يجد الباحثان أمثلة تدل على رغبة الشاعر في إدخال الضرورة إلى تركيب الجملة، وإنما التفّت معظم الضرورات حول الحروف ولا سيما حول حرف الياء.

رأى الباحثان أن في تمركز الضرورات حول حرف الياء دليلًا على قصد الشاعر في استخدام الضرورة.

يرى الباحثان أن الضرورة في شعر المتنبي مقصودة لأغراض متنوعة منها ما يتعلق بالشاعر ورغبته بالحضور وإثبات الوجود، ومنها ما يتعلق برغبة الشاعر بجعل أبياته تمتلئ بالموسيقى المؤثرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر:

١- أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين (ت٣٥٤ هـ)- ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح مصطفى السقا وآخرون، بدون تاريخ.

المراجع:

١- الأسعد، عمر (١٩٨٤)- معالم العروض والقافية، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، الزرقاء.
٢- سيبويه، أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر (١٩٦٨)- الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
٣- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (٣٦٨هـ)- ما يحتمل الشعر من الضرورة، تحقيق: عوض بن حمد القوزي، ط٢، ١٩٩١.
٤- عبد الجليل، عبد القادر (١٩٩٨) – هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي رؤية لسانية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان.
٥- عبد الرحيم، مصطفى عليان (١٩٨٤م)، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مؤسسة الرسالة، ط٢.
٦- ابن فورجه، أحمد بن محمد (١٩٧٣)، الفتح على أبي الفتح- تحقيق عبد الكريم الدجيلي، بغداد.
٧- القزاز، أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي، (دون تاريخ)، ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة، تحقيق وشرح ودراسة محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، دار المعارف، الإسكندرية.